

الكتاب المقدس

أصله وتاريخه ومركزه في العالم

في الكتاب المقدس أدلة لا تقبل الجدل على انه من اصل الهي فليس مثله بين كتب العالم اجمع كتاب يعزّي الروح ويروي النفس ويشبع العقل كما يفعل الكتاب المقدس الصادق عنه القول في كل الأعصار والأقطار وبين جميع طبقات الناس، لأنّه يحتوي على إعلان الله الواضح الذي يكشف للإنسان منبع الحياة ومصدر البركات. وكلّ من يقبل هذا الإعلان بإيمان حتى يستقي منه القوة على التكمّل بالحياة الفضلى نظير القديسين الذين اشتهروا بأخلاقهم ومبادئهم القويمة.

ومنذ أن أنزل الله كتابه إرشاداً للناس أحاطه بعناية خاصة وحفظه من كلّ تغيير أو تبديل محبطاً المساعي الموجهة لإبطاله فبقي نوراً ساطعاً ينير العالمين ويبدد ظلمة الضالّين.

لماذا كُتِبَ الكتاب وكيف ومدى

تكاثرت الناس أيضاً بعد الطوفان على وجه الأرض وعادت الظلمة المعنوية ترخي سدولها على المسكونة فأوحى الله إلى الأتقياء من بين الشعب إرادته المقدسة فدوتوها في الأسفار المعروفة وهكذا بقي نور معرفة الله مضيئاً وسط الظلمة الدامسة التي غشيت العقول ودامت معرفة إرادته محفوظة للبشر. لقد ثابر الأنبياء على عملهم هذا قروناً إلى أن جاء المسيح الموعود به وأذاع رسالة النور والخلاص

هو بنفسه وعلم رسله من بعده ليحملوا مشعل الحق وبهذا تمت كلمة الله وتكملت مواعيده لذرية آدم.

الكتابات الأولية وترجمتها

انزل الله وحيه على الأنبياء فدوتوا باللغة العبرية هذا الوحي في الكتب المعروفة بالعهد القديم وكتبت باليد على لفافات البردي والكتان والرق. وبعد مضي ألف سنة ونيف أي عند انتشار اللغة اليونانية في البلاد إبان تشييد مملكة إسكندر ذي القرنين، شرع سبعون عالماً من علماء اليهود بأمر من بطليموس فيلادلفوس نحو سنة ٢٨٥ ق.م. في ترجمة الكتب المقدسة ليكون لدى هذا الحاكم نسخة من كتب اليهود في مكتبته المشهورة في الإسكندرية. فصارت تُعرف هذه الترجمة بالترجمة السبعينية.

وأما كتب العهد الجديد فهي يونانية الأصل وان كان بعضهم يقول إن البشير متى كتب إنجيله بالعبرية أو بالأرامية

ثم إذ انتشرت المسيحية وتعددت لغات المؤمنين بها وجب أن تُترجم الكتب المقدسة إلى لغات مختلفة وكان من أشهرها الترجمة السريانية وترجمة ايروموس (جيروم) من اللغتين الأصليتين إلى اللاتينية وذلك بين سنة ٣٨٣م وسنة ٤٠٥م وهذه الترجمة لا تزال بين أيدي الكهنة في الكنائس اللاتينية.

فه الطبعة

لقد كانت معرفة كلمة الله محصورة بعدد ضئيل في العالم نظراً لقلّة النسخ الموجودة من الكتاب المقدس فنقله باليد حرفاً حرفاً كان يستغرق وقتاً طويلاً وعناءً كبيراً ومالاً كثيراً، الأمر الذي حدّد التداول به فاستحكم الجهل وساد الفساد في العالم حتى أمر الله بالفرج رحمة منه بالعباد فظهر في أواسط القرن الخامس

عشر الميلادي فنّ الطباعة. وعلى أثر طبع الكتاب وانتشاره حدثت نهضة الإصلاح فانفتح عصر جديد لنشر الكتاب المقدس وقراءته استعداداً لإتمام عمل التبشير في هذه الأيام الأخيرة فيأتي المسيح ثانية لينهي فعلة الخطيئة.

ومما يسترعي النظر أن أول كتاب طبع بعد استنباط فنّ الطباعة كان الكتاب المقدس باللاتينية وقام بطبعه "جون غوتنبرج" في مدينة منتس الألمانية سنة ١٤٥٦ م. وقد بيعت نسخة من هذه الطبعة بمئة وستة آلاف دولار سنة ١٩٢٦م في مدينة نيويورك وهذا أعظم ثمن دُفع لكتاب واحد ما عدا الثمن الذي دُفع لمخطوطات سيناء التي بيعت بمائة ألف ليرة إسترلينية.

الكتاب المقدس في لغات عديدة

نُكر فيما تقدّم أن الكتاب المقدس نُشر بلغات قديمة لم تقدر العامة من الناس على تناوله ودرسه ولذلك كان من السهل ان يخطئ البدار الصالح الذي كان يُزرع فيهم. والذين كانوا ينادون بتعاليم الكتاب المقدس الصحيحة كانوا يتوقون إلى إمكانية إيصالها إلى العموم وكثيراً ما قالوا «يا حبذا لو كان بالإمكان إيصال هذه الحقائق إلى الشعب بلغات يعرفونها ويتفهمونها وهكذا يفهم العموم إرادة الله المقدسة. فهل يا ترى يتم لهم هذا؟» وكثيراً ما تساءلوا ولماذا لا يكون هذا الكتاب بلغاتهم وها موسى كتب إلى العبرانيين بلغتهم والأنبياء خاطبوا الشعب قديماً بلغة كانوا يعرفونها وكانت شائعة بينهم كما وان العهد الجديد في الأصل دُونَ بلغة كانت شائعة في المملكة الرومانية.

وكانت ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الإنكليزية في سنة ١٣٨٠م. فاتحة عصر الإصلاح وإحياء المسيحية في إنجلترا وبلدان أوروبا الغربية وتمت ترجمة العهد الجديد إلى اللغة الألمانية سنة ١٥٢٢م. وتبعها ترجمة العهد القديم سنة ١٥٣٤م. وهكذا كانت تُترجم الكتب المقدسة رويداً رويداً إلى جميع لغات أوروبا وتنتشر

المعرفة بين السكّان ويستمر نور الكتاب في الإشعاع رغم المقاومات العنيفة وإحراق الترجمات ومترجميها.

إحراق الكتاب المقدّس

وجد في (ارميا ٣٦: ٢٠-٢٣) أنّ "الملك يهوياقيم" ألقى الدرج المكتوبة فيه كلمات الله في النار فاحترق كلّها. وفي (ارميا ٣٨: ١-٦) يتبيّن أنّ أمراء الملك صدقيا كانوا متمادين جداً في الشرّ فراحوا يلقون هذا النبي الفاضل في دار السجن لكي يسكنوا نبرات صوته المنذرة بالويلات على شعب زاغ وفسد وترك عبادة الله الحيّ.

ونرى أبناء العصور الوسطى يقتدون بهذا العمل الشنيع من حرق الكتب المقدسة ومترجميها زعماً بأنّهم يمنعون الإصلاح ويعرقلون أعماله المثمرة.

وكان العمل الأوّل من هذه الشاكلة إحراق ما وصلت إليه أيديهم من العهد الجديد الذي ترجمه "تندايل" وطبع في مدينة "انتورب". لقد شهدت "كنيسة القديس بولس" في لندن هذا العمل الفظيع في باحتها سنة ١٥٢٧م وفي السنة ١٥٣٠م جرت العملية ذاتها على الطبعة الثانية من هذا الكتاب وبعده صار الإحراق جملة شاملاً فالتهمت النيران جميع ما كتبه وترجمه تندايل وباسيل وباريس وكفرديل وغيرهم. ولم تقتصر الأعمال على إحراق الكتب والأحياء بل تعدّت إلى ما هو أبعد حقداً، فقد أمر مجمع كونستانس في السنة ١٤٢٨م ان يؤتى بعضا من قبره لتُحرق وذلك كان بعد وفاته بثلاث وأربعين سنة. وفي السادس من تشرين الأوّل (أكتوبر) سنة ١٥٣٦م صدر أمر "شاوّل الخامس عاهل ألمانيا" فأوثقوا تندايل واحرقوه في مدينة فلفورده قرب بروكسل. وعندما سمع هنري الثامن ملك إنجلترا أخبار لوثيروس قال: «إذا كان لوثيروس لا يرجع عن غيّه فليكن هو وما كتبه طعماً للنار».

هذا ما قاساه الأمانة الشهداء جزاء تمسكهم بكلمة الله فهم ماتوا أما هي فتبقى إلى الأبد لتبعث الحياة في النفوس.

كلمة الله له تقيد

لم يطل الوقت حتى عرف هؤلاء المعارضون بأنهم يقومون بأعمال فوق طاقتهم ولا يمكنهم أبداً أن يقيّدوا كلمة الله أو يوجبوا نورها فالأمراء والرؤساء الذين حاربوها وعملوا على إخماد حرارتها في قلوب الناس كان الفشل نصيبهم لا سيما وقد وضع الله في أذهان بعض الرؤساء والأمراء الآخرين أن يعملوا على إزاعتها ونشرها.

الكتاب المقدس للعالم أجمع

وأخيراً قام في إنجلترا وأميركا وبعض البلدان الأوروبية جماعة من البررة الغيورين وأسّسوا جمعيات من شأنها نشر الكتاب المقدس في كل أمة ولسان وشعب وقبيلة.

تأسست "جمعية التوراة البريطانية" في السنة ١٨٠٤م وبلغ ما نشرته من الكتاب المقدس منذ نشأتها حتى السنة ١٩٤١م نحواً من ٥٣٣ مليون نسخة وهذا العدد يشمل الكتاب الكامل بعهديه وأجزاء الكتاب كالعهد الجديد وسفر دانيال الخ. وذلك في ٧٤٧ لغة.

كذلك وزعت "جمعية التوراة الأمريكية" منذ نشأتها سنة ١٨١٦م حتى سنة ١٩٤٠م نحواً من ٣٠٦ ملايين نسخة وذلك في ٢٥٨ لغة.

وبلغ ما وزعته "جمعية التوراة الاسكتلندية" بين سنة ١٨٦١م وسنة ١٩٤١م نحواً من ١٤٠ مليون نسخة.

وفي السنوات الأخيرة أي منذ إحصاء سنة ١٩٤١م كانت زيادة اللغات التي ترجم إليها الكتاب زيادة محسوسة فقد بلغ عدد لغاته ١٠٧٣ وبلغ ما توزع منه خلال خمس سنوات ٣٦,١٨٧,٢٣٨ نسخة أو ما ينوف عن السبعة ملايين كل سنة فتأمل.

لابد من الذكر في هذه السانحة عن شيء من ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية فقد شرع "يوحنا أسقف أشبيلية" من أعمال أسبانيا على اثر افتتاح العرب تلك البلاد في ترجمة الكتاب سنة ٧٥٠م. وقد أكمل ترجمته ولكن إذ لم تُطبع تلك الترجمة كان نصيبها الضياع.

وقد ترجم بعضهم أكثر كتب العهد القديم تسهيلاً للناطقين بالضاد (العربية) فطُبعت بعضها في القسطنطينية سنة ١٥٤٦م وفي باريس سنة ١٦٤٥م وفي لندن سنة ١٦٥٧م.

وترجم سفر المزامير عن السريانية في الشوير جبل لبنان سنة ١٦١٠م ومن ثم ترجمه عبد الله بن الفضل وصار طبعه في حلب سنة ١٧٠٦م لذلك عرفت هذه الترجمة بالترجمة الحلبية.

ويظن أن الأناجيل الأربعة تمت ترجمتها في القرن السابع والبقية من العهد الجديد في القرن الثامن أو التاسع وطُبعت في رومية سنة ١٥٩١م وفي هولندا سنة ١٦١٦م وفي باريس سنة ١٦٤٥م وفي لندن سنة ١٦٥٧م.

ولما كانت هذه النسخ مشحونة بالأغلاط قام بتنقيحها مطران حلب (سركيس الرزي) وطبع العهد الجديد من هذه النسخة في لندن سنة ١٧٢٧م.

ثم طبع العهد الجديد أيضاً في لندن سنة ١٨١٦م عن ترجمة القديس هنري مارتن وثنائيل ساباط في الهند.

والآن ننقل إليك ما جاء بهذا الصدور في كتاب مرشد الطالبين صفحة ٣٠-٣٣ طبعة سابعة سنة ١٩٣٧م.

«وقد ترجم الكتاب كله المعلم "فارس الشدياق" بعناية ونفقة الجمعية الإنجيلية المعروفة بجمعية ترقية المعارف المسيحية وطبع العهد الجديد عن هذه الترجمة سنة ١٨٥١م ثم طبع العهدان أيضاً سنة ١٨٥٧م في مدينة لندن.

«وأما الترجمة الجديدة التي تُرجمت حديثاً في مدينة بيروت فنذكرها هنا بأكثر تفصيل نظراً لمعرفتنا بالأشخاص الذين اشتغلوا بها والوسائط التي استعملوها فنقول أنه بعد الفحص والتدقيق وُجِدَت جميع الترجمات العربية المذكورة آنفاً غير مضبوطة على الأصل وناقصة باعتبارات كثيرة بعضها أكثر من بعض وأكثرها لم يكن مُترجماً من لغات الكتاب المقدس الأصلية. فلذلك قرّر الرأي على ترجمة الكتاب كله العهد القديم من العبرانية والجديد من اليونانية. فشرع هذا العمل القس عالي سميث المرسل الأمريكي سنة ١٨٣٧م. وكان في ابتداء عمله أنه صنع قوالب حروف عربية موافقة لذوق أفضل علماء العصر في هيئتها وتربيتها وأنشأ من ذلك مطبعة حسنة وجمع أيضاً مكتبة ثمينة استعداداً لترجمة الكتاب وطبعه. وهذا العمل شغل عدة سنين. وفي سنة ١٨٤٨م شرع "القس سميث" المذكور في الترجمة بمساعدة المعلم "بطرس البستاني" وبقياً معاً في هذا العمل إلى ان توفي القس سميث في ١١ (كانون الثاني) يناير سنة ١٨٥٢م. وكانا قد أنجزا في هذه البرهة ترجمة أسفار موسى الخمسة والعهد الجديد مع أجزاء مختلفة من أسفار الأنبياء وشرعا في طبع العهد القديم. وبعد موت القس سميث المذكور اخذ إتمام هذا العمل "القس كرنيليوس فان ديك" وهو أيضاً أحد المرسلين الأميركيين فأولاً راجع جميع الأسفار التي كان قد ترجمها القس سميث والمعلم بطرس البستاني ثم ترجم الباقي. وكان النجاز من الكتاب كله في ٢٣ آب (أغسطس) سنة ١٨٦٤م ومن الطبعة الأولى منه في ٢٩ آذار (مارس) سنة ١٨٦٥م. غير أن العهد الجديد كان قد أُكمل بعد ذلك وطبع عدة مرات. والطبعة الأولى منه كانت في آذار (مارس) سنة ١٨٦٠م.

«وبما أن المعول عليه في هذا العمل كان أولاً القس سميث ثم القس فان ديك فهما اللذان قد كابدا في ذلك أشدّ العناء لأجل كمال الترجمة وضبطها ومطابقتها

للأصل غاية المطابقة. ولأجل هذه الغاية كانا يُرسلان نحو ثلاثين نسخة من كل جزء قبل أن يُطبع إلى مشاهير العلماء من مسلمين ونصارى ووطنيين وأجانب في جهات مختلفة من سورية ومصر وأحياناً إلى جرمانيا (ألمانيا) لأجل انتقاد اللغة والترجمة وتقييد كل ما يفتح الله عليهم به من الآراء الحسنة على الحاشية وبعد إرجاع هذه المسودات أيّ النسخ الموزعة إلى بيروت مركز هذا العمل كانت تُراجع بكل دقة وكانت كل الانتقادات والاستحسانات التي توجد موافقة وفي محلها تُقبل ويُعمل بموجبها وهكذا كانت عقول كثيرة من الوطنيين والأجانب تساعد حق المساعدة في هذا العمل المهم.

«ومن الذين كان أكثر الاعتماد عليهم في ضبط الترجمة على قواعد اللغة العربية وفصاحتها اثنان هما "الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني" و "الشيخ يوسف الأسير الأزهري".

«والأشخاص المارّ ذكرهم الذين انشأوا هذه الترجمة من اشهر علماء عصرهم وقد كابدوا في هذا العمل أتعاباً جزيلة سنين عديدة فلنا أساس للاعتقاد ان هذه الترجمة من اصحّ الترجمات واضبطها وسيكون المعول عليها فيما بعد. فنسأل الله ان يجعل نفعها يعمّ الجميع.

«أخيراً نقول إنّ الكتب المقدّسة قد تُرجمت إلى اللغة الأرمنيّة في أوائل القرن الخامس. وإلى الفارسيّة منذ زمن قديم كما يشهد يوحنا فم الذهب.

وإلى الفرنسيّة نحو سنة ١١٦٠م. وإلى الأسبانيّة نحو سنة ١٣٨٠م. وإلى النمساوية الألمانية نحو سنة ١٤٦٠م. وإلى الإنجليزيّة نحو سنة ١٣٨٠م.

وبذلك نرى أنّ رأفة العناية الإلهيّة قد ظهرت جلياً في إقامة أناس علماء ليترجموا الكتب المقدسة حتى أنّه الآن يوجد نحو ٩٧٢ لغة قد تُرجم إليها الكتاب المقدّس كاملاً أو بعض أجزاء منه. وقد تُرجم الكتاب كاملاً إلى ١٧٥ لغة والعهد الجديد كاملاً إلى ٣٨٣ لغة (يصح هذا التقرير لسنة ١٩٣٦م).

«والترجمة اليسوعية تمت بعناية الرهبان اليسوعيين في بيروت وطُبعت في ثلاث مجلدات كبار سنة ١٨٧٦م».

هذا عمل جمعيات الكتاب المقدس الثلاث الكبرى وبهذه الجهود نجد في العالم غذاءً روحياً استعداداً للبشرى الأخيرة بختام ملك الخطية ومجيء المسيح الرب بمجد وبهاء.

«وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الْأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى» (متى ٢٤: ١٤).

لقد سجّلت مجلة علم الآثار في عددها الصادر في الشهر الخامس لسنة ١٩٤٨م. اكتشافات مخطوطات من العهد القديم على جانب عظيم من الأهمية. فقد عثر العلماء على سفر إشعياء بكامله باللغة العبرية وترجع هذه المخطوطة في تقدير الباحثة إلى القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد؛ الأمر الذي قابله علماء الآثار الكتابية بدهشة شديدة وارتياح كثير لا سيما ولم يكن لديهم من المخطوطات العبرية ما يرجع إلى أبعد من القرن التاسع بعد الميلاد. أمّا هذا الاكتشاف العجيب لا بد وأن يلزم العلماء المدّعين بأن بعض سفر إشعياء لا يرجع نصّه إلى عهد بعيد - بأن يُعيدوا النظر في هذا الزعم المغلوط.